لقاء الأحبة

جمع وتأليف
ناجي بن دايل السلطان
راجعه
د. محمد بن سعد بن شقير

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهد الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادى له، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ونشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

أما بعد:

فقد اطلعت على هذا الكتاب المسمى «**لقاء الأحبة**» لفضيلة الشيخ ناجى بن دايل آل سلطان، وهو في الحقيقة كتاب دعوة وإصلاح، صالح ومفيد لكل إنسان، وخاصة شباب المسلمين وشاباتهم، حيث وجدته يستدرج القارئ بضرب الأمثلة من المحسوس الشاهد إلى ما ينتظر الإنسان في أخراه من نعيم مقيم مع أحبته في الله، في جنات النعيم إن هو أطاع الله ورسوله، أو ما أعده الله من عذاب دائم في نار جهنم إن هو عصى الله ورسوله.

ثم إنه يأتي بقصص لبعض الصالحين الذين نالوا السعادة في الدنيا والآخرة، وقصص لآخرين زلت بهم الأقدام بارتكاب الفواحش، فشقوا في الدنيا قبل الآخرة، ولقد علمت بأن المؤلف — أثابه الله ونفع بكتابه — يقوم بطباعة ما يكتبه على حسابه الخاص للتوزيع.

أسأل المولى جلت قدرته أن يجعل ذلك في ميزان حسناته يوم القيامة، وأن يجعل عملنا وعمله خالصاً لوجهه الكريم، والحمد لله رب

العالمين.

المراجع

د/ محمد بن سعد شقير

قاضى المحكمة الشرعية بخورفكان

دولة الإمارات العربية المتحدة

*　　*　　*

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، ومن نزغات الشيطان وشركه، من يهد الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادى له، وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

وبعد: هذا الكتاب الذي بين أيديكم جمعته من هنا وهناك، وهو بعنوان «**لقاء الأحبة**» واللقاء بين حبيبين شيء طيب وجميل، والاجتماع مع أحبابك ومحبيك شيء مطلوب، ويدخل عليك السرور والفرح والبهجة وانشراح الصدر، وهذا ماتجده في هذا الكتاب، سوف تعيش في هذا الجو الصافي مع الأحباب وكأنك بينهم، تعيش مع هذا الكتاب دون ملل أو سأم، فقد كانت اللقاءات مع الأحباب لا تمل، ومع ذلك هى منوعة ومشوقة ومتعددة ومختصرة، وقد حاولت تبسيط العبارات وفك المتشابهات، ليكون الكلام سلسا سهلا معلوما ومقبولا، يدخل الى القلب لأنه من القلب.

فقسمته إلى مواضيع كما هو في الفهرس، وحاولت تقصير المواضيع وعدم الإسهاب والإطالة خوفا من التضجر والملل، تجد في هذا الكتاب العبر والمواعظ، فالسعيد من وعظ بغيره، حتى لا تقع في نفس الخطأ الذى وقع فيه أولئك، فتندم كما ندموا ولات ساعة مندم.

هذا الكتاب يصلح للشاب والشابة، للرجل والمرأة على حد سواء، يجد الشاب فيه بغيته، وتجد الفتاة مايسرها من تجارب الحياة، ويجد فيه الكبير والصغير الجديد بإذن الله.

في هذا الكتاب الاستفادة من تجارب الآخرين، أخطاء وقعت لشباب وفتيات زلت بهم القدم في مهاوى الردى.

احذر واحذرى أن تقعا فيما وقعوا فيه، فالسعيد من وعظ بغيره، والشقى من وعظ بنفسه.

والله أسأل أن ينفع به، وأن يغفر لنا ولوالدينا وجميع المسلمين. وصلى الله على نبينا محمد.

* * *

لقاء الأحبة

١- لقاء لابد منه ونهاية حتمية

لكل شيء في هذه الحياة بداية ونهاية ينتهى إليها، علمَها من علمَها، وجهلَها من جهلَها، لقد خلق الله الكون بما فيه من أرض وسماء وما فيهن، وما بينهما من عوالم وأجرام لا يعلمها إلا هو سبحانه، وخلقك أيها الانسان من تراب، وهو خلق أباك آدم عليه الصلاة والسلام من تراب، ثم من ماء مهين عن طريق التزاوج والتوالد والتكاثر، سنة الله، ولن تجد لسنة الله تبديلا، ولن تجد لسنة الله تحويلا.

فهل فكرت يوما من الأيام في هذا الكون العظيم وما فيه من شمس وقمر ونجوم، بعضها يُرى وبعضها لايُرى، بسبب المسافات الهائلة التى بيننا وبين هذه المخلوقات، هى كلها تعمل وتتحرك في إطار ما رسم لها بالقدر المسموح به لها من قبل خالقها – سبحانه وتعالى – لا تحيد ولا تميل عنه شعرة واحدة ولا تتقدم أو تتأخر أبدا قال تعالى: ﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾.

هل فكرت يوما في هذه الأجرام السماوية الضخمة ماذا يحصل لها وإلى أين تنتهى؟ إن لها نهاية لابد أن تؤول إليها، ولها لقاء لابد أن تصل إليه. نهاية حتمية لابد أن تنتهى إليها قال تعالى: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ﴾ والجبال أين تذهب؟ قال الحق

سبحانه: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا * فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا * لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا﴾.

* * *

٢- بداية الإنسان ونهايته

وأنت أيها الإنسان ما هي بدايتك وما هى نهايتك؟ إنك لم تخلق عبثا ولم تترك هملا ﴿**أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ**﴾ إذًا ما هي بدايتك أيها الإنسان؟

إنهما بدايتان: الأولى: عند خروجك من بطن أمك باكيًا والناس حولك، يضحكون سرورا فرحين بقدومك، لكن هذه البداية يشترك فيها كل البشر: المسلم والكافر، البار والفاجر، بل والحيوانات وجميع المخلوقات أيضا.

الميلاد الثاني: هو خروجك من ظلمات المعصية إلى نور الطاعة، أو من ظلمات الجاهلية بجميع ألوانها وأشكالها إلى نور الإسلام قال تعالى: ﴿**أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا**﴾ إنه ميلاد لا يتقيد بعمر، وقد يولد هذا الميلاد في أي عمر، وهنيئا لك إن لم يسبق الموت ميلادك، سئل رجل عن عمره فقال: ثلاث سنين، فقيل له: كيف وأنت في الثلاثين؟ قال: ميلادي الصحيح منذ ثلاث سنين:

ولدتك أمك يا بن آدم باكيا
والناس حولك يضحكون سرورا
فاعمل لنفسك أن تكون إذا بكوا
في يوم موتك ضاحكا مسرورا

هذا هو الميلاد، وهذه هى البداية الحقيقية، وهذا هو اللقاء الحقيقي. عندما يلتقي الجسد مع الروح في عمل دؤوب مخلص لا يمل ولا يكل، عندما يعيش الإنسان في ظلال الإسلام وتعاليمه السمحة، فإنه معها يشعر بوجوده وبقيمته ودوره في المجتمع، ويساهم مع إخوانه المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها في البناء والتعمير، بدل الهدم والتدمير، وهذا الميلاد يختلف ويتعدد، فقد يكون كافرًا فيسلم، وقد يكون مسلمًا مبتعدًا عن الله فيعود.

وقد تكون البداية مع البداية، «أي من الصغر»، فنرى أطفالا يلازمون المسجد والطاعة، ويكبرون على ذلك لا يحيدون ولا ينكصون، فهي الهداية من الله: ﴿**فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ**﴾.

* * *

٣ – البداية عند النهاية

هذا الرجل يسلم وينشب القتال بين المسلمين والكفار فيقتل شهيدًا وهو لم يسجد لله سجدة، فكان ميلاده عند نهايته، وكانت خاتمته طيبة، وكانت قريبة جدًّا من ميلاده فكانت الخاتمة الجنة.

الموت لابد منه للمسلم والكافر على حد سواء ﴿**أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ * ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ * مَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمَتَّعُونَ**﴾.

وهذا رجل آخر يسمع النبي ﷺ يقول: «**من قتله هؤلاء فهو في الجنة**»، فيقوم هذا الرجل وهو يأكل تمرات، ويلقى بها ويقول: إنها لحياة طويلة إن بقيت حتى آكلها ثم يقول: يا رسول الله! ما بيني وبين الجنة إلا أن يقتلني هؤلاء؟ قال: «**نعم**» فهجم كالأسد الهصور يجول ويقتل منهم عددا كبيرًا، ثم يستشهد رضي الله عنه وأرضاه.

وها هو رجل تائب مقبل على الله بعد أن جرب كل شيء، فلم يجد السعادة ولم يحس بالراحة، يقتل تسعًا وتسعين نفسًا فتؤنبه نفسه، وهو يريد التوبة فيذهب إلى عابد يسأله: هل له من توبة؟ فيغلق هذا العابد باب التوبة أمامه، ويقول: لا أجد لك توبة، أنت مجرم ومن أهل النار، فيصاب باليأس وبالحزن، فيقتله تمام المائة، لكن نفسه ما زالت تتوق إلى التوبة، فيذهب إلى عالم ويسأله، فقال هذا العالم: ومن يحول بينك وبين التوبة اذهب إلى قرية كذا، واترك هذه القرية ورفاق السوء، فإن في تلك القرية قومًا يعبدون الله فالحق بهم.

ومن صدق توبته ذهب مسرعاً إلى القرية، فجاءه الأجل المحتوم وهو في الطريق، فتنازعت عليه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب كل يريد أن يأخذه، فأرسل الله إليهم ملكًا حكمًا، فقال: قيسوا المسافة بين القريتين، فأيها كان أقرب فهو لهم، فوجدوه إلى القرية التي قصدها أقرب بشبر واحد، فأخذته ملائكة الرحمة، فيلقى الأحبة هناك في جنات ونهر، في مقعد صدق عند مليك مقتدر.

يا له من لقاء لا تفرق فيه، ونعيم دائم لا ينقطع، وسعادة لا تفنى، وشباب لا يبلى، اللهم اجمعنا بهم في هذا النعيم المقيم، واللقاء الدائم مع الأحبة الأبرار من الصحابة والأخيار، والتابعين لهم بإحسان، يا رب العالمين.

* * *

٤- بداية الدعوة وتجمع الأحبة

من هنا بدأ الرسول ﷺ دعوته، من جبال مكة وسهولها انطلق الرسول القائد يدعو الناس، ويلتقي بهم سرًّا وعلانية، بدأ دعوته في مكة في خضم جاهلية جهلاء تعج بها مكة والعرب من حولها، إذ إن في مكة وحدها وحول الكعبة ثلاثمائة وستين صنمًا، اعتادوها وألفوها، وأصبحت هذه الأصنام جزءًا من حياتهم يقاتلون دونها بكل غال ونفيس، وهى إرث ورثه الأبناء عن الآباء ﴿**إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ**﴾.

ومع ذلك بدأ ﷺ وحده فريدًا طريدًا، يجرى وراء الناس في أيام المواسم، ويعرض نفسه على القبائل، ونشر هذا الدين، ويعرض حمايته وحماية هذا الدين، والموت في سبيله، والثمن الجنة، فيها نلتقي إن شاء الله.

وكان أبو لهب يسير خلفه، ويقول: لا تصدقوا هذا، فقد صبأ، ومع ذلك يمضى في هذا الطريق، يلتقي بالناس عامة وبالأحبة خاصة الذين أسلموا، لا يكل ولا يمل، ويتعرض هو وصحبه الأبرار لأصناف من العذاب والحصار الاقتصادي تارة، والإغراء تارة أخرى، والتعذيب والقتل لمن أسلم، وكان ﷺ صابرًا محتسبًا. وكانت الجنة هي الثمن، واللقاء والراحة و الطمأنينة، فيها مالا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، ومع هذه المعارضة الشديدة والإيذاء المتواصل بدأ دعوته بهدوء وتأن، لم تثره الاستفزازات، ولم تؤثر فيه المغريات، ولم تثنه العراقيل، ولم توقفه الأشواك التي كانت توضع في طريقه، فكان

يأتيه أحد الصحابة، وهو مستند على جدار الكعبة ويقول: يا رسول الله ألا تستنصر لنا؟ ألا تدعو لنا؟ ألا ترى ما نحن فيه من عذاب وإيذاء؟!

فيرد عليه رد الواثق بربه قائلا: «**إنه فيمن كان من قبلكم يؤتى بالرجل، فيقسم بالمنشار قسمين، وينشر بمناشير الحديد ما يرده ذلك عن دينه، ولكنكم تستعجلون، والله ليسيرن الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون**».

وكان ﷺ يلتقي بآل ياسر، ويمر بهم وهم يعذبون، فلا يزيد أن يقول: «**صبرا آل ياسر، فإن موعدكم الجنة**» فيها نلتقي، فيهون عليهم المصاب بلذة الجنة، حيث تذهب عنهم آلام التعذيب.

من هذا المنطلق نبدأ ونعمل، ونتحمل المصائب والأهوال والمتاعب، من أجل لقاء الأحبة حقا، الذين بذلوا أرواحهم رخيصة في سبيل هذا الدين، وكانت اهتماماتهم نشر هذا الدين. إذ إن من طبيعة هذا الدين ومن السنن التي هي من نواميس الحياة والكون التي لا تتغير ولا تتبدل أن هذا الدين ينتشر في الأرض على أيدي رجال عاهدوا الله على نشره، فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا، قال تعالى: ﴿**وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ**﴾.

هكذا هذا الدين يقوم ويعلو على أيدي رجال، وإن تقاعس هؤلاء الرجال وتركوا الحبل على الغارب وركنوا إلى الدنيا، فإن الله قادر على إهلاكهم والإتيان بقوم يحبهم ويحبونه، أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين، يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم، فكن أخي المسلم من هؤلاء الرجال ولا تكن من الصنف الأول الذين تقاعسوا وقعدوا، فتهلك في الدنيا والآخرة، وذلك هو الخسران المبين. فتكون بدايتك ونهايتك شرًّا والعياذ بالله فتخسر الدنيا والآخرة على حد سواء.

* * *

٥- لقاء الأحبة في بئر أريس

عن أبي موسى الأشعري رضي الله تعالى عنه أنه توضأ في بيته ثم خرج فقال: لألزمن رسول الله ﷺ، ولأكونن معه يومي هذا [١] ، فجاء المسجد، فسأل عن النبي ﷺ فقالوا: وجَّه ههنا قال: فخرجت على أثره أسأل عنه حتى دخل بئر أريس، فجلست عند الباب وبابها من جريد، حتى قضى رسول الله ﷺ حاجته وتوضأ، فقمت إليه فإذا هو قد جلس على بئر أريس [٢]، وتوسط قُفَّها، وكشف عن ساقيه، ودلاهما في البئر، فسلمت عليه، ثم انصرفت فجلست عند الباب.

فقلت لأكونن بواب رسول الله ﷺ اليوم، فجاء أبو بكر رضي الله عنه فدفع الباب، فقلت من هذا؟فقال: أبو بكر، فقلت: على رسلك، ثم ذهبت فقلت يا رسول الله هذا أبو بكر يستأذن؟ فقال:" **ائذن له وبشره بالجنة**" فأقبلت عليه حتى قلت لأبي بكر: ادخل ورسول الله ﷺ يبشرك بالجنة. قال: فدخل أبو بكر حتى جلس عن يمين النبي ﷺ معه في القف ودلى رجليه في البئر كما صنع رسول الله ﷺ وكشف عن ساقيه. ثم رجعت فجلست وقد تركت أخي يتوضأ ويلحقني، فقلت: إن يرد الله بفلان خير يأت به. «يريد أخاه» فإذا إنسان يحرك الباب، فقلت من هذا؟ فقال: عمر بن الخطاب. فقلت على رسلك ثم جئت رسول الله ﷺ فسلمت عليه ثم قلت هذا عمر يستأذن،

---

(1) أي لا أكتفي ببعضه عن باقيه.

(2) بئر أريس هو بستان معروف بالقرب من قباء.

فقال: «**ائذن له وبشره بالجنة**»، فجئت عمر وقلت: أذن لك، ويبشرك رسول الله ﷺ بالجنة، وقال فدخل فجلس مع رسول الله ﷺ في القف عن يساره ودلى رجليه في البئر، ثم رجعت فجلست فقلت: إن يرد الله بفلان خيرا (يعني أخاه) يأت به. فجاء إنسان فحرك الباب فقلت من هذا؟ فقال: عثمان بن عفان، فقلت: على رسلك، وجئت النبي ﷺ وأخبرته فقال «**ائذن له وبشره بالجنة مع بلوى تصيبه**» قال فجئت فقلت: ادخل ويبشرك رسول الله بالجنة مع بلوى تصيبك. قال: فدخل فوجد القف مليئًا، فجلس وجاءهم من الشق الآخر. قال شريك: فقال سعيد بن المسيب: فأولتها قبورهم [1] متفق عليه [2].

* * *

(1) قال الحافظ :وقوع التأويل في اليقظة وهو اجتماع الصاحبين مع النبى (ص) وانفراد عثمان (ض) فى البقيع.

(2) رياض الصالحين،حديث ٧٠٨،٣٨١ص.

٦–لقاء الأحبة في الجنة

صورة أخرى من لقاء الأحبة بداية ذلك ونهايته

أ– هذه امرأة تأتى إلى النبي ﷺ وتشتكى صرعا يصيبها، فيخيرها النبي ﷺ أن يدعو لها فتشفي بإذن الله، أو أن تصبر ولها الجنة، فتقول: بل أصبر، ثم ترجع وتقول: يا رسول الله إنني أتكشف فادعو الله لي ألا أتكشف. فكانت امرأة تظفر بالجنة وهى مازالت على قيد الحياة في الدنيا ببشارة رسول الله ﷺ.

لفتة لطيفة إلى نسائنا الكريمات العفيفات حيث إن هذه المرأة تتكشف رغم أنفها فكانت لا ترضى هذا، بل تطلب من الرسول ﷺ أن يدعو الله لها بالستر، وأنتن أيتها النساء يا من تبدين زينتكن لغير المحارم في الأسواق وفي السيارات وغيرها يظهر منكن مفاتن الجسم ومواطن الزينة، وتبدو إحداكن متبرجة لابسة أحسن زينتها، بل متعطرة أمام الرجال الأجانب «بل أمام الذئاب المفترسة» باختياركن، بل تتعمدن ذلك، فما عذركن أيتها الأخوات الحبيبات؟ ما عذركن أمام رب الأرض والسموات؟

وهذه المرأة التي من أهل الجنة تطلب من الرسول ﷺ أن يدعو الله لها ألا تتكشف، فإن كنت تريدين اللقاء بهذه المرأة في الجنة، فافعلي فعلها، واقتدى بها من أجل أن تنعمي ولا تشقي، ومن أجل أن تسعدي و لا تبأسي، ومن أجل أن يبقى جمالك ونعومتك وشبابك في الجنة مع هذه المرأة المسلمة التي من أهل الجنة، بل يزيد

شبابك شبابًا، ونعومتك نعومة، وجمالك جمالًا ونضارتك حسنا وبهاءً، بل وأكثر من ذلك أنك تكونين أجمل وأحسن من الحور العين في الجنة فهل تريدين ذلك؟ أختي المسلمة عليك بالستر والحجاب.

ب- وها هو رجل يأتي النبي ﷺ يبدأ حياته ولقاءه الأول مع الحبيب المصطفي ﷺ يلتقي به متى شاء ويأتي إليه متى أراد لا يصبر عنه وقتا طويلا.

وفي يوم من الأيام يأتي هذا الرجل ويبكى، فيسأله طبيب القلوب ومداويها: **ما يبكيك؟** فيقول الرجل: نحن الآن في الدنيا نلتقي بك ونأتيك متى شئنا، لكن في الآخرة لا نستطيع أن نصل إلى درجتك فى الجنة فسكت الحبيب المصطفى حتى نزلت الآيات: ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ ما أحسنه من لقاء. لقاء الأحبة في الله، الذين أنعم الله عليهم وهم (النبيون، والصديقون، والشهداء، والصالحون). كلهم يلتقون في الجنة، جعلنا الله وإياكم معهم في مقعد صدق عند مليك مقتدر.

ج- وها هو آخر يخدم النبي ﷺ، ويأتيه بوضوئه، فيقول له النبي ﷺ: «**اطلب**» فينتهز الفرصة فيقول: مصاحبتك في الجنة، فيقول «**أو غير ذلك**» فيقول هو ذاك. فيقول له النبي ﷺ: «**أعنى على نفسك بكثرة السجود**» ففي الجنة نلتقي إن شاء الله، الله أكبر يا لها من سعادة أن يكون المسلم مع النبيين والصديقين

والشهداء والصالحين في الجنة. ألا إن سلعة الله غالية، ألا إن سلعة الله الجنة.

*   *   *

٧- لقاء النبي صلى الله عليه وسلم مع قومه

كانت بداية النبي ﷺ مع قومه عندما نزل عليه ﴿**وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ**﴾ أعلنها صريحة تجلجل في جبال مكة وسهولها إنها صيحة التوحيد، جمعهم وناداهم بطنا بطنا وقبيلة قبيلة، وقال لهم: «**يا معشر قريش قولوا لا اله إلا الله تفلحوا**» دعوة صريحة تهز القلوب وتوقظ المشاعر وتقضي على عبادة الأصنام وتخلص العباد لرب العباد، فماذا كان الرد؟؟ انبرى له عمه أبو لهب عليه من الله ما يستحق وقال «**تبا لك ألهذا جمعتنا**» وبدأ العناد والكيد لهذا الدين وأهله ونزلت: ﴿**تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ**﴾ ويشتد الأذى على المؤمنين الموحدين، وتعمل قريش الحصار الاقتصادى على بنى هاشم، ويبقى الحصار مفروضا ثلاث سنين، حتى أكلوا أوراق الشجر من الجوع، ومع ذلك لم يرجعوا ولم يفكروا في الرجوع عن دينهم، بل صبروا وتحملوا في سبيل هذا الدين لأنهم يعرفون أن موعدهم الجنة وأنه لابد من لقاء الأحبة هناك، فهان عليهم كل شيء، كانوا يعلمون أن مع العسر يسرا، وأن الفرج مع الكرب، وأن الشدة معها الفرج، أي يعقبها، قال الشاعر:

ولرب نازلة يضيق بها الفتى
ذرعا وعند الله منها المخرج
ضاقت فلما استحكمت حلقاتها
فرجت وكنت أظنها لا تفرج

﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا * إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾.

قال رسول الله ﷺ: «لن يغلب عسر يسرين».

أخي المسلم! ما يحصل لك من مضايقات مادية وتهديد وتخويف، كل ذلك لا يرد المسلم عن دينه، وعن المضي في نشر هذا الدين، فالدين دين الله، والخلق خلق الله يتصرف فيهم كما يشاء، سبحانه لا يسأل عما يفعل وهم يسألون.

* * *

٨- نماذج فذة يفخر بها تاريخنا
لها لقاء مع المعلم والمربى ﷺ

من هذه النماذج بلال بن رباح رضي الله تعالى عنه يعذب ويجلد وهو يقول: «أحد أحد» فيقولون له: غير هذه الكلمة فيقول: لا أحسن غيرها، فيصبر على هذا العذاب حتى اشتراه أبو بكر وأعتقه، فيسأل بعد ذلك كيف صبرت على هذا العذاب؟ فقال: خلطت حلاوة الإيمان مع مرارة العذاب، فطغت عليها حلاوة الإيمان فعدت لا أحس، من هنا بدأ وفي الجنة يلتقي بالحبيب النبي ﷺ.

قال ﷺ له: «**حدثني بأرجى عمل عملته في الإسلام فإني سمعت دف نعليك بين يدي في الجنة**» قال بلال: ما أحدثت إلا تطهرت، وما تطهرت طهورا إلا صليت بهذا الطهور ما كتب لي أن أصلي.

إن دخول الإيمان في القلب وتمكنه منه لهو البداية، وهو الحياة الحقيقية والميلاد الصحيح، عندما يذوق حلاوة الإيمان يهون عليه كل بلاء، ويكون همه الوحيد هو هذا الدين ورفعته والعمل على إعزازه ولسان حاله يقول: من هنا نبدأ وفي الجنة نلتقي.

في هذه الدنيا لا يهمه التفرق والبعد عن أحبابه وأقربائه لأنه يعلم علم اليقين ويؤمن تمام الإيمان أن هناك لقاء لا تفرق بعده، ونعيمًا لا ينتهي، وهناك ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، فمن الآن وليس غدا نبدأ العمل الجاد، نبدأ بتحقيق

الإيمان، نبدأ بالتوبة النصوح ونحاسب أنفسنا قبل أن نحاسب ونعمل لهذا الدين «كخلية النحل» — إن صح التعبير — المزارع في مزرعته يعمل ويدعو إلى هذا الدين أولاده وأهله والعمال الذين تحت يده هو مسؤول عنهم جميعا، المسلم منهم يبصره بدينه، وغير المسلم يدعوه إلى الإسلام قال ﷺ «**لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم**» **وقال ﷺ**: «**من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه دون أن ينقص من أجورهم شيء**» وإن كان لا يستطيع، فعليه أن يدعو أحد العلماء أو المشايخ أو طلاب العلم بين فترة وأخرى لتعليم هؤلاء، فإنهم لا يقصرون في ذلك، بل يفرحون لأن في ذلك خيرا للجميع قال تعالى: ﴿**وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ**﴾.

وعلى هذا فقس: التاجر في متجره، والموظف في مكتبه، والصانع في مصنعه، وكذلك المعلم ومدير المدرسة ومدير المكتب وإمام المسجد، وكذلك الأم والأب والأولاد والحاكم والمحكومون عليهم جميعا أن يبدؤوا من هنا، مع من يعولون بالعلم النافع والعمل الصالح، فهي بداية ولها نهاية، ولقاء مع الأحبة في الجنة، يا لها من نهاية طيبة في الجنة ويا له من لقاء مع الأحباب، ويا لها من جائزة ثمينة ينتهي إليها كل مؤمن ومؤمنة بإذن الله تعالى ﴿**فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ * عَنِ الْمُجْرِمِينَ * مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ * قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ * وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ * وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ * وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ * حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ**﴾ هذه هي النهاية وهذا هو

اللقاء، ومن قبل كانت البداية، ولا خير في بداية حياة طويلة عاقبتها سقر لا تبقى ولا تذر لواحة للبشر عليها تسعة عشر.

أخي المسلم:

قـــد هيـــؤوك لأمـــر لـــو فطنـــت لـــه
فاربـــأ بنفـــسك أن ترعـــى مـــع الهمـــل

* * *

٩- وفي قصصهم عبرة

أ- وخوفا عليكم من السأم والملل أورد لكم قصة طريفة في هذا الموضوع: دخلت امرأة على الخليفة... فقالت السلام عليك يا أمير المؤمنين، فرد عليها السلام ثم قالت: أتم الله ملكك، وأقر عينك، وحكمت فقسطت، فقال الخليفة الذكي للجالسين من الحاشية والبطانة أتدرون ماذا تعنى؟ قالوا: تدعو لك بالخير. قال: لا، لكنها تدعو عليَّ، فقالوا: كيف ذلك يا أمير المؤمنين؟قال إن قولها: أتم الله ملكك يعنى زال، ترقب زوال الشيء إذا قيل تم، وأقر عينك يعنى جمدت أي مت، وحكمت فقسطت، هلكت من قوله تعالى: ﴿**وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا**﴾، فسبحان من جعل لكل بداية نهاية، ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام.

ب- قصة أخرى بعنوان: **وفي الجنة نلتقي**

دعا داعي الجهاد «حي على الجهاد» فسمعه رجل، فقام يستعد، ويأخذ درعه وسلاحه وبعض متاعه وما يلزمه للسفر، فأمسكت به امرأته قائلة: إلى أين؟ قال: إلى الجهاد أما سمعت المنادى فقالت لمن تتركنا، قال لله، قالت: متى ترجع قال: تركت لك ثلاثين ألف دينار نفقة، فإن أنا عدت فالحمد لله، وإن استُشهدت ففي الجنة نلتقي إن شاء الله، فخرج من عندها وهو يدعو بدعاء السفر ومنه «**اللهم أنت الصاحب في السفر والخليفة في الأهل**» ما أحسنه من دعاء أن يكون الخليفة في الأهل هو الله «إذًا لا يضيعنا».

فذهب الرجل للجهاد إلى خراسان وبقى ما شاء الله أن يبقى من السنين الطوال يكر ويفر على الأعداء، ثم عاد بما رزقه الله من غنائم مما خف وزنه وغلا ثمنه (١)، وقصد مدينة الرسول ﷺ ودخل المسجد النبوي كما هي عادة المسافر سفرا طويلا وصلى المغرب، فإذا بشاب يدخل فينفلق له الناس فلقتين، ويجلس على كرسي يحدث الناس وكأن الدرر تتساقط من شفتيه يقول: فأنساني أهلي وجلست أسمع حديثه، وأنا أقول في نفسي: يا ليت لي ولد مثله، لكني أسلي نفسي وأقول: لقد أبليت بلاء حسنا في الجهاد والحمد لله، فأقيمت صلاة العشاء وصليت العشاء، وبعد ذلك ذهبت إلى دارى، فدفعت الباب ودخلت فإذا بشاب جنب امرأتي، فمشقت السيف أريد أن أهوى عليه، فعرفتني المرأة وقالت: على رسلك إنه ابنك قم سلِّم على أبيك، وبعد السلام قلت له من أنت؟ قال: أنا ربيعة الرأي عالم المدينة وإمامها، نصبت للفتيا فيها وعمري سبعة عشر سنة فحمدت الله – سبحانه وتعالى – أن جمع لي بين الجهاد والعمل الصالح.

فيا أخي المسلم! ويا أختي المسلمة هلا نعتبر ونقف وقفات: **أولا**: هذا الرجل الصالح ذهب للجهاد ثم عاد سالما غانما. **ثانيا**: في حال هذه المرأة الصالحة التي ربت هذا العالم «ربيعة الرأي» قاربي أختي المسلمة حالها بحال نساء اليوم — إلا من رحم الله–ثم قاربي صبرها السنين الطوال بدون زوج، ثم تصرفها في المال الذي تركه

(1) لم يكن هم السلف الصالح فى الجهاد المغنم، ولكن هذا الرجل جمع الله له بين الأجر والغنيمة التى أباحها الله للمجاهدين فى سبيله.

زوجها كيف استطاعت أن تنفق منه برفق على نفسها وولدها. ثم كيف قامت برعاية وتربية هذا الولد حتى أصبح عالم المدينة وإمامها بل ومفتيها، وهو لم يبلغ السابعة عشرة من عمره، أين هو من شباب اليوم الذين تخلوا عن مسؤولية الأمانة- وهى حمل الرسالة- وتحملها من البداية باستغلال الوقت كل الوقت في العلم النافع والعمل الصالح؟ ثم أين نساؤنا اليوم من هذه المرأة الصالحة التي اعتنت وربت هذا الولد منذ نعومة أظفاره على الإسلام وحب القرآن حتى رضعه مع حليب أمه فجرى في عروقه وفي دمه حتى أصبح جزءًا منه لا يتجزأ.

من هنا بدؤوا وفي الجنة يلتقون إن شاء الله.

أقول لكَ ولكِ: إن طريق الجنة مملوء بالأشواك وطريق النار محفوف بالشهوات. أخي المسلم جاهد نفسك واصبر على مشاق الطريق في هذه الدنيا فأنت مسافر، والمسافر لابد أن يصيبه نصب وتعب ولابد من عوائق وعقبات في الطريق، فإن كان من أصحاب الهمم العالية فإنه يستطيع بحول الله وقوته أن يتخطاها، وإن كان ضعيف الهمة خائر العزيمة فإنه يسقط في الوحل من أول الطريق ويعيش في متاهات ومستنقعات نتنة تفوح منها رائحة جهنم، لا يقر له قرار ولا يهدأ له بال، تلعب به الشهوات وتخطفه الشبهات يتبع شياطين الجن والإنس، فهو بمثابة الغصن في مهب الريح، أو الكرة عندما تتقاذفها الأرجل لا يقر له قرار، ولا يهدأ له بال، نسأل الله العافية والسلامة.

أخـي المـسلم: إن الراحـة والطمأنينـة في طاعـة الله سـبحانه وتعـالى وطاعـة رسـوله ﷺ، عليهـا يكـون اللقـاء والمحبـة، وفيهـا يكـون الكـره والـبغض «الحـب في الله والـبغض في الله» ومحبـة الله ورسـوله تقتضى منك أيها المسلم الخضوع والطاعة لله ﴿**قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ**﴾.

لا يعرف الشوق إلا من يكابده

ولا الصبابة إلا من يعانيها

* * *

١٠- اليقين

إن الراحة والسعادة تكمن في اليقين بأنك لابد أن تلتقي بالأحبة والأقارب، إذا كانت محبتكم في الله وبغضكم في الله، واليقين هو القائد إلى ذلك بأن تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن يصيبك، وأن الذي يقدر المقادير هو الله – سبحانه وتعالى – وحده لا أحد يستطيع نفعك أو ضرك إلا بإذن الله – تعالى – فهو النافع الضار، وهو الذي يقدر المقادير، ويجمع الأحباب والمتحابين فيه في جنات ونهر، في مقعد صدق عند مليك مقتدر.

ما أحسنه من لقاء، وما أجمله من اجتماع دائم لا تنغصه فرقة، ولا يشوبه تشاجر ولا شحناء، ولا يكدره مرض، ولا ينغصه فقر أو قحط، ولا يزعزعه خوف ولا رعب، ولا يخافون قطعه، فهو متوفر دائم، قطوفها دانية، لا مقطوعة ولا ممنوعة، ولا يفكرون في الزوجات، ولا تفكر النساء في الأزواج، فهو متوفر للجميع، فلا يخافون زوال النعم والفواكه، فهى دانية ثمارها، ولا يسأمون أو يملون، فهم في شغل فاكهون، هم وأزواجهم يحبرون، فهم في لذة أبدية متنوعة ومتجددة، لهم فيها ما تشتهيه الأنفس، وتلذ الأعين وهم فيها خالدون، هذا هو اللقاء الطيب، وهذا هو لقاء الأحبة الذين تحابوا في الله اجتمعوا عليه وتفرقوا عليه.

* * *

١١- اللقاء في الجنة

كان عمرو بن ثابت المعروف بالأصيرم أسلم يوم أحد، وأخذ سيفه، وقاتل قتال الأبطال حتى أثخنته الجراح، فذكروه لرسول الله ﷺ فقال هو من أهل الجنة قال أبو هريرة: وقد أسلم ودخل المعركة قبل أن يدركه وقت صلاة. (مسند الإمام أحمد).

قال حماد بن ثابت: أتى رسول الله ﷺ رجل فقال: يا رسول الله إني رجل أسود اللون قبيح الوجه منتن الرائحة لا مال لى، فإن قاتلت هؤلاء [(١)] حتى أُقتل أأدخل الجنة؟ قال: **نعم،** فتقدم فقاتل حتى قتل، وكانت النهاية، فأتى عليه النبى ﷺ وهو مقتول فقال: «**لقد أحسن الله وجهك وطيب ريحك وكثر مالك** » قال: «**لقد رأيت زوجتيه من الحور العين ينزعان جبته عنه ويدخلان فيما بين جبته وجلده**»، فمولده كان زاهرا، وخاتمته كانت سعيدة، من هنا بدأ، وبالصحب يلتقي في الجنة مع زوجاته من الحور العين.

وهذا رجل من الأعراب يسلم أيام خيبر فغنم رسول الله ﷺ شيئا فقسمه، وقسم للأعرابي فقال الأعرابي: ما على هذا بايعتك، ولكنى اتبعتك على أن أرمى هاهنا و أشار إلى حلقه بسهم فأدخل الجنة. فقال ﷺ:« **إن تصدق الله يصدقك**» ثم نهض إلى قتال العدو، فأتى به إلى النبي ﷺ وهو مقتول، فقال «**أهو هو**» قالوا نعم، قال: «**صدق الله فصدقه**»مات عن الدنيا، لكنه حيا حياة سعيدة

---

(1) المقصود بهم يهود خيبر.

(١)أخرجه النسائى والطحاوى والحاكم واسناده صحيح.

﴿**وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ**﴾ وفي الجنة يلتقي بمحبيه وصحبه فما أحلاها من حياة كاملة، لا منغصات فيها ولا نصب، وقد هبط كالطائر، وحط رحاله في الجنة.

* * *

١٢- بعض من شجاعته ﷺ مع أحبته وصحبه

وليست الشجاعة في الصحابة فقط، بل في مربيهم ومعلمهم أكبر وأكثر، فمن تحت يده تخرجوا، وتعلموا من علمه، ونهلوا من مدرسته، تعلموا الشجاعة والإقدام فمن هؤلاء على سبيل المثال لا الحصر:

١- يوم أحد إذ فر معظم من كان معه ولم يبق إلا نفر قليل من الصحابة، وعندها صرخ الشيطان أن محمدا قد قتل، وأقبل أبى بن خلف زعيم الكفر والشرك، وهو في أدراعه المغطية جسمه وهو يقول: لا نجوت إن نجا محمد، فأبصره ﷺ وعند ترقوته ثقب صغير فضربه بالحربة حتى خر من فرسه، وهو يخور في دمه، كما يخور الثور، فقيل له خدش بسيط فقال: إن محمدا قال: أنا قاتله إن شاء الله، فمات في رابغ.

٢- خبر آخر: كان الصحابة يقولون كنا نحتمي برسول الله ﷺ إذا حمى الوطيس.

٣- موقف آخر: سُمع صوت مزعج، في المدينة فخرج الناس فزعين: فإذا هو ﷺ عائد من ناحية الصوت على فرسه، ومعه سلاحه دون أن تسرج الفرس، وهو يقول: «**لن تراعوا لن تراعوا**».

٤- موقف آخر: أغار عيينة بن حصن الفزاري على لقاح [1] بالغابة قرب المدينة، فاستاقها وقتل راعيها، وهو رجل من عسفان، واحتملوا امرأته فجاء الصريخ ونودي: يا خيل الله اركبي، وكان أول ما نودي بها، فركب رسول الله ﷺ مقنعا في الحديد، فكان أول من قدم عليه المقداد بن عمرو في الدرع والمغفر، فعقد له رسول الله اللواء وقال: «**امض حتى تلحق بك الخيول، أنا على إثرك**» واستخلف رسول الله ﷺ على المدينة ابن أم مكتوم، وأدرك سلمة بن الأكوع القوم وهو راجل، فجعل يرميهم بالنبل ويقول:

خذها وأنا ابن الأكوع   اليوم يوم الرضع

حتى رد جميع اللقاح، وثلاثين بردة.

قال سلمة: يا رسول الله فلو بعثتني في مائة رجل استنقذت ما في أيديهم من السرح، وأخذت بأعناق القوم فقال رسول الله ﷺ «ملكت فاسجح» [2].

٥- ومن شجاعته: كان ﷺ وبعضا من أصحابه في لقاء تسوده المحبة و الألفة والسعادة بجوار الصفا بدار الأرقم بن أبى الأرقم، وكان هذا اللقاء سرا بين الأحبة في الله لا يعلم به كفار قريش، وإذا بعمر بن الخطاب يضرب عليهم الباب متوشحا سيفه، فلما سمعوا صوته

---

(1) يعنى إبل الصدقة.

(2) أى فارفق وأحسن. والسجاحة السهولة أى لا تأخذه بالشدة بل ارفق.

قام رجل من أصحاب النبي ﷺ فنظر من خلل الباب [1] فرآى عمر متوشحا سيفه، فرجع إلى رسول الله ﷺ وهو فزع، فقال: يا رسول الله هذا عمر بن الخطاب متوشحا سيفه، فقال حمزة بن عبد المطلب، فأذن له فإن كان جاء يريد خيرا بذلناه له، وإن جاء يريد شرا قتلناه بسيفه، فقال له ﷺ «**ائذن له**»، فأذن له الرجل، ونهض إليه رسول الله ﷺ حتى لقيه، فأخذ بحجزته أو بمجمع ردائه، ثم جبذه جبذة شديدة وقال «**ما جاء بك يا ابن الخطاب، فوالله ما أرى أن تنتهي حتى تنزل بك قارعة**»، فقال عمر: يا رسول الله جئتك لأومن بالله ورسوله، وبما جاء من عند الله، قال: فكبر رسول الله ﷺ تكبيرة عرف أهل البيت من أصحابه أن عمر أسلم.

* * *

(1) أى فتحة صغيرة فى الباب.

١٣ – ترقب زوال الشيء إذا قيل تم

لكـــل شـــيء إذا مـــا تـــم نقـــصان
فـــلا يغـــر بطيـــب العـــيش إنـــسان
هـــي الأمـــور كمـــا شـــاهدتها دول
مـــن ســـره زمـــن ســـاءته أزمـــان

حول هذا الموضوع، نقف عدة وقفات مع المخلوقات والأمم والشعوب والقبائل والدول، لكن العاقبة للمتقين دائما، بل هي فريضة الله وشرعه في أرضه ﴿**تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** *﴾ وقال تعالى: ﴿**وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ**﴾.

الوقفة الأولى:

مع بعض من آيات الله المشاهدة: الشمس والقمر والنجوم، والسموات والأرض، هذه المخلوقات الضخمة التي نراها. عمرها طويل، لكن ما هو مصيرها؟ ما هي النهاية الحتمية لها؟ إنه الفناء، قال تعالى: ﴿**إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ * وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ * وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ**﴾ الآيات، وقال تعالى ﴿**وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّماوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ**﴾ سبحانك يا رب، حتى هذه المخلوقات تزول، ويلتقي بعضها ببعض، لكنه لقاء هدم وفناء ليس لقاء محبة ومعانقة، لقاء دمار وانهيار للكون

كله يضرب بعضه بعضا، بل يصطدم بعضه ببعض، الشمس تكور، والنجوم تتساقط، والسماء تنشق، والجبال تنسف، قال تعالى: ﴿**إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ * وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ * وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ**﴾ إنه يوم تلتقي فيه هذه الأجرام السماوية الضخمة، تلتقي لتنتهي وتبدل ﴿**يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ**﴾ ما أعظمه من لقاء مخيف لهذا الكون كله، والذي تمثل الأرض التي نعيش عليها جزءا صغيرا منه، فلنعتبر لهذه الأحداث العظام والتي لا بد من وقوعها وحصولها، فسبحان من خلقها وهو يفنيها، ويبدلها بكل سهولة ويسر، إنه يستحق العبادة والخضوع، واتباع أمره واجتناب نهيه، لأنه الخالق العظيم الذي لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء، إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون، فسبحانك من إله عظيم يستحق العبادة و الإخلاص، ويا سعادة من أطاعك وقام بعبادتك حق القيام، ويا شقاوة من عصاك وخالف أمرك.

الوقفة الثانية:

مع الكائنات التي في الأرض والسماوات: لابد من لقاء بعد الفناء، هل تفنى الملائكة وهم خلق في السماوات؟ كما ورد في الحديث: «**أطت السماء، وحق لها أن تئط، ما فيها موضع أربع أصابع إلا عليه ملك ساجد، لو علمتم ما أعلم لضحكتم قليلا**

ولبكيتم كثيرا...»[١] الحديث.

إنه يأتي يوم لا يبقى أحد من الخلائق فينادى الرب —سبحانه وتعالى– أنا الملك أين ملوك الأرض؟ أنا الجبار أين الجبارون؟ لمن الملك اليوم فلا يجيبه أحد فيجيب هو: لله الواحد القهار، فيفنى كل شيء ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام.

* * *

(1) رواه الترمذى وابن ماجه وأحمد فى المسند ٢٠٥٣٩.

١٤ –لقاء أبدي

إنه لقاء الروح بالجسد، فأنت أيها الإنسان مكون من شيئين، روح وجسد، فلا بقاء للجسد بلا روح، وتكمن السعادة في لقاء الروح بالجسد حيث يتم النعيم للمؤمنين، إذ إنه يتلذذ بالنعيم الروح والجسد على حد سواء، فهو أكمل و أتم، وذلك عند البعث والنشور عند الفزع الأكبر يلتقي الناس، ويموج بعضهم ببعض، وهذا اللقاء مخيف ومرعب تشخص فيه الأبصار، لا أحد ينظر لأحد، ولا أحد يعرف الآخر كل مشغول بنفسه لا تعرف الأم ولدها، ولا الابن يعرف أمه.

سألت عائشة النبي ﷺ «هل يعرف الناس بعضهم بعضا» قال ﷺ **نعم** إلا في ثلاث مواقف:

١– عند البعث من القبور حفاة عراة غرلا.

٢– عند تطاير الصحف فآخذ كتابه بيمينه و آخذ كتابه بشماله، (وهو ما يعرف عند المدارس واختبارات الوظائف وغيره بإخراج النتيجة).

٣– وعند الصراط (وهو جسر مضروب على متن جهنم أدق من الشعرة وأحد من السيف، لا يصل أهل الجنة الجنة إلا عن طريقه، والرسول ﷺ يقول «**يارب سلم سلم**».

وبعد عبور الصراط كل على قدر عمله، فمنهم من يكون كأجاود الخيل، ومنهم من يكون كأسبق الرجال، ومنهم من يهرول

هرولة، ومنهم من يمشى مشيا ومنهم من يزحف، ومنهم من تخطفه الكلاليب فترمى به في جهنم، فمخدوش مكردس ومخدوش ناج، وهذا مصداقا للآية الكريمة ﴿**وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا * ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا**﴾ وبعد الصراط ينقسم الناس الى قسمين فريق في الجنة وفريق في السعير.

*   *   *

١٥- لقاء سري

كان لقاء الأحبة محمد وصحبه في بداية الدعوة في دار أحد أصحابه ومحبيه، وهى «دار الأرقم بن أبى الأرقم» وقد أسلم، واسمه عبد مناف بن أسد من بني لؤي، وقد كان من حكمته ﷺ في بداية الدعوة أن يلتقي بأصحابه ومحبيه سرا لما يلقاه صحبه من التعذيب والاضطهاد والسجن والتشريد، لذلك كان ﷺ يمنع المسلمين من إعلان إسلامهم قولا أو فعلا، وألا يجتمع بهم إلا سرا، لأنه لو اجتمع بهم علنا، فلاشك أن المشركين سوف يحولون بينه وبينهم، والرسول ﷺ هدفه تعليمهم وتزكيتهم وتربيتهم وتعليمهم الكتاب والحكمة، فلو كان ذلك علنا؛ لأفضى إلى نزاع ومصادمة بين الفريقين، بل قد وقع ذلك فعلا في السنة الرابعة من النبوة، وذلك أن أصحاب رسول الله كانوا يجتمعون في الشعاب، فيصلون فيها سرا، فرآهم نفر من قريش فسبوهم وقاتلوهم، فضرب سعد بن أبى وقاص رجلا فسال دمه، وكان أول دم أهريق في الإسلام، ومعلوم أن المصادمة لو وقعت طالت، وأفضت إلى تدمير المسلمين وإبادتهم، وهم ما زالوا في أول الطريق، فكان من الحكمة الاختفاء والعمل سرا بعيدا عن أنظار كفار قريش، فكان عامة الصحابة يخفون إسلامهم وعبادتهم ودعوتهم واجتماعاتهم، أما رسول الله ﷺ فكان يجهر بالدعوة والعبادة بين ظهراني المشركين، لا يصرفه عن ذلك شيء، ولكن كان يجتمع مع المسلمين سرا نظرا لصالحهم وصالح الإسلام، وكانت دار الأرقم بن أبى الأرقم المخزومي على الصفا، وكانت بمعزل عن أعين الطغاة

وبجالسهم، فكان اتخاذها مركزا لدعوته ولاجتماعه بالمسلمين عين الحكمة، وكان ذلك في السنة الخامسة من النبوة»[1].

* * *

(1) من كتاب الرحيق المختوم ص ١١٠ بتصرف.

١٦- لقاء الحبيب بحبيبته

ما أجمله من لقاء بين زوج قد طالت غيبته، وبين زوجة حبيبة لطيفة حنون لا تغضبه ولا تعارضه ولا تعصى له أمرا، بل مطيعة وضيئة تشع جمالا، وتفوح عطرا وبهاء، قاصرة طرفها عليه فاتحة قلبها له، السرور في النظر إليها، والسعادة في الجلوس بجوارها، تحنو عليه وتشفق وتنظر إلى ما يحب فتفعل ما يحب، بسمتها ضياء، وجسمها يشع بالصفاء لا ترضى غيره بديلا، ولا يحب عنها تحويلا، فهنيئا لك أيها المسلم بهذا العطاء.

أ- عن أبي ذر قال: دخل على رسول الله ﷺ رجل يقال له عكاف بن بشر التميمي فقال له النبي ﷺ: «**يا عكاف هل لك من زوجة؟**» قال: لا. قال: «**ولا جارية**»قال : «ولا جارية؟» قال: «**وأنت موسر بخير؟**» قال: وأنا موسر بخير. قال «**أنت إذا من إخوان الشياطين، ولو كنت في النصارى كنت من رهبانهم، إن سنتنا النكاح، شراركم عزابكم، وأرازل موتاكم عزابكم، ما للشيطان سلاح أبلغ في الصالحين من النساء إلا المتزوجون، أولئك المطهرون المبرؤون من الخنا، ويحك يا عكاف، إنهن من صواحب أيوب وداود ويوسف وكرسف**»، فقال له بشر بن عطية، ومن كرسف يا رسول الله قال «**رجل كان يعبد الله بساحل من سواحل البحر ثلاثمائة سنة يصوم النهار ويقوم الليل، ثم إنه كفر بالله العظيم بسبب امرأة عشقها وترك ما كان عليه من عبادة الله عز وجل، ثم استدركه الله ببعض ما كان منه فتاب عليه، ويحك يا**

عكاف: تزوج، وإلا فأنت من المذبذبين» قال زوجني يا رسول الله، قال: " **زوَّجتك كريمة بنت كلثوم الحميري»** [1].

ب- لقاء مبارك

مر القاضي شريح بامرأة وعندها جارية، وطلب منها شرابا، فأمرت الجارية أن تأتى بشراب فقالت الجارية: أي الشراب يريد؟؟ فقالت أمها: ائت بلبن فإن الرجل غريب.

يقول فقلت لها: هل الجارية متزوجة قالت: لا، يقول فقلت في نفسي: أتقدم لخطبتها لما رأيت من سمتها وأخلاقها، فتقدمت وتمت الموافقة والحمد لله، ودخلت بها وصليت ركعتين فإذا هي تصلى بصلاتي، فلما أردت منها ما يريد الرجل من امرأته، قالت على رسلك: الحمد لله، نحمده ونستعينه، ونصلى ونسلم على النبي وصحبه، أما بعد:

فإن الله قد كتب هذا الزواج، وكان الكثير يتقدم لي من أقاربي فلم يكتب الله الزواج من أحدهم، فأخبرني بالذي تحب فآتيه، وأخبرني بما تكره فأبتعد عنه، وأخبرني من تحب من جيرانك، فأسمح له بالزيارة، ومن تكره من جيرانك فأبتعد عنه، ومتى تحب زيارة أهلي؟

قال يخاطب الشعبي: والله يا شعبي إنها قد أحرجتني وألجأتني إلى الخطابة فقلت: الحمد لله نحمده ونستعينه، ونصلى على النبي وصحبه

---

(1) رواه الامام أحمد فى المسند (٥/١٦٣-١٦٤).

أما بعد: فقد قلتِ وأصبتِ فان تلتزمي بما تقولين، فهو خير لك ولي، فإني أحب كذا وكذا وأكره كذا وكذا، وجيراني آل فلان أهل خير وصلاح، وآل فلان لا أحبهم، أما أهلك فيأتون في كل وقت.

ثم قال: يا شعبي، إذا أردت الزواج فعليك بنساء بني تميم فإنهن أرجح عقولا وأحسن تصرفا.

يا شعبي: لقد بقيت معها عشرين عاما لم تكدر لي بالا إلا مرة واحدة كنت أنا المخطئ، يا شعبي، لقد عشت معها عيشة هنية، وراحة سرمدية لا يكدرها نكد، ولا يشوبها خلاف.

لقد تم اللقاء بين محبين ورفرفت عليهما المحبة والسعادة والتفاهم والتعاون على البر والتقوى، راحة نفسية وسعادة بدنية، لا خلاف ولا شقاق ولا صخب ولا نصب بين الزوجين، قد تم التفاهم والتسامح والألفة والمحبة القلبية التي ترفرف على هذه الأسرة وتحيط بهذا البيت، أتدرى أخي المسلم ويا أختي المسلمة عن سبب هذه السعادة: إنها الطاعة لله واتباع هدى النبي ﷺ وتشريعاته في العبادة والمعاملة والأخلاق والأحكام.

* * *

١٧ – اللقاء في الطاعة والفرقة في المعصية

كانت امرأة تعيش مع زوجها في أهنئ عيش وأسعده، وكانت السعادة ترفرف على هذا البيت، وقد أضفت البُنَيَّة التي رزقاها بهاء ونضارة للبيت بما يصدر منها من ضحكات وصوت جميل، فهذه ألعابها في كل زاوية قد ملأت البيت سعادة وسرورا فهي مصدر سرور وسعادة للأبوين، ومرت الأيام، والتفاهم بين الزوجين تام، ولكن!... الطمع يُذهب ما جُمع، فحب المال أخذ يدب إليهما جميعا وصار عندهما رأس مال لا بأس به، فطرحت الزوجة على زوجها فكرة استثماره في البنك من أجل أن يدر عليهما ربحا وفوائد ربوية، ففعل الزوج وعندها دخل الحرام واستبدلت الطاعة بالمعصية، فدب الخلاف بينهما، وتغيرت المعيشة من سعادة إلى شقاء، ومن طمأنينة إلى خوف، ومن استقرار إلى شقاق، ومن حب شريف إلى بغض ومقت، وصدق الله العظيم ﴿**يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ**﴾؟

وقال تعالى: ﴿**الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ**﴾.

وفي يوم عصيب حصل خلاف حاد انتهى بالطلاق، فصاحت المرأة وبكت، وبكت البنية، وحصلت الفرقة، وانهدمت الأسرة، وندمت المرأة، لكن بعد فوات الأوان، وقالت كلمة مشهورة تكتب بماء الذهب «أذكر يوم جمعتنا الطاعة وفرقتنا المعصية».

فاعتبروا يا أولى الأبصار. وخاصة الأخوات، ليعلمن أن الطاعة تجمع الزوجين سعيدين، وأن المعصية سبب للخلاف والشقاق والنزاع، وعدم البركة في الرزق والأولاد، وقد لا يدوم زواج بُني على معصية الله من كلا الزوجين أو أحدهما.

حادثة أخرى:

كانت امرأة تعيش مع زوجها عيشة هنيئة ملؤها الحب والإخلاص، وتفانى كل واحد منهما في خدمة الآخر منقطع النظير، كانت امرأة جميلة، وكانت قاصرة طرفها على زوجها وهو كذلك، وكان يقول لها: زوجتي العزيزة لا تضعي ثيابك في غير دارك، وكان يحذرها بشدة أن تكشف شيئا من محاسنها في غير بيتها، واستمرت الحال على ذلك زمنا طويلا وقد رزق منها أولادًا، وفي يوم من الأيام، كان هذا الزوج عند أحد أصدقائه في الديوانية، وكان هناك جمع غفير من الشباب، فأخذوا يتجاذبون أطراف الحديث عن جمال النساء في الخليج، وفي مصر، وفي الشام، فقال صاحب الدار: أنا أثبت لكم أن النساء الخليجيات أحسن نساء العالم، فأتى بشريط فيديو عن حفلة زواج خليجية، وإذا بالراقصات يعرضن واحدة واحدة، وإذا بالكاميرا تقف كثيرا وتعيد وتركز على إحداهن، أتدرى من هي؟ إنها زوجة صاحبنا الذي كان يحذرها أن لا تضع ثيابها في غير بيتها، تبرم غضبا لرؤيته زوجته في أحسن زينة أمام الناس، بل سيبقى هذا الشريط وينتشر، فتمنى هذا الرجل أنه لم يخلق بعد، لما رأى من هذا العار، وانكشاف محارمه عيانا بيانا بأبهى وأجمل زينة، ينظر إليها ذئاب

الناس، بل يتلذذون بمحاسنها ومفاتنها، وأماكن جمالها الساحر المثير.

بعد هذا المشهد الأليم اتجه إلى بيته، وأخرج امرأته وطلقها، وهي تصيح وتبكي على عملها وتفريطها في وصية زوجها، فانهدم بيت بسبب المعصية، وتفرقت الأسرة وخيم البؤس والشقاء على الزوجين بعد أن كانت السعادة والمحبة والابتسامة لا تفارقهما، إن عاقبة المعاصي وخيمة في الدنيا والآخرة.

زواج مبارك: حج أحد الصالحين الملازمين لطاعة الله سبحانه وتعالى، وبعد وصوله الحرم نفد ما معه من زاد، وبقي ثلاثة أيام لا يجد ما يأكل إلا ماء زمزم، وعند خروجه من باب الحرم، إذا به يجد منديلا أخضر، وبداخله عقد من اللؤلؤ يقدر بمائة ألف دينار، فأخذه وبقي في مكانه يترجي صاحبه لعله يأتي، لأنه لا يجوز أن تلتقط لقطة الحرم، ولو ذهب وتركه يخشى عليه أن يؤخذ، فإذا بصاحب العقد يأتي ملهوفا قلقا ينظر يمنه ويسرة، فناداه الرجل الأمين، وسأله عن أى شيء يبحث، فأخبره الخبر، فقال له الأمين هذا هو. بعد أن سأله عن أوصافه، ففرح صاحب العقد وشكره وأعطاه ألف دينار، فرفض الرجل الأمين أن يأخذ شيئا وقال: أريد الجزاء من الله لا منك، فذهب هذا الرجل بالعقد وهو يقول: لئن لقيته لأزوجنه ابنتي.

فما صنع هذا الأمين وهو مازال في مكة ؟ حصل على بعض النقود من أصحاب الخير، وركب في السفينة مسافرا إلى بلده، وفي البحر تلاطمت الأمواج وهاج البحر، فانقلبت السفينة، وغرقت في خضم البحر الهائج، وغرق جميع من فيها ماعدا الأمين، قد هيأ الله

له خشبة، فركب عليها وسلم أمره لله، وسارت به الخشبة في وسط الأمواج المتلاطمة إلى أين؟ لا يدرى، وانتهت هذه الرحلة إلى ساحل النجاة، وإذا بأهل القرية يأخذونه، وقد أعياه التعب، وتمزقت ثيابه، فيلبسونه ويطعمونه، ويبقى عندهم إماما ومعلما، حيث كان عالما ورعا، فأحبوه كثيرا، وطلبوا منه البقاء عندهم على أن يزوجوه فقال: ليس لدى شيء من النقود، قال أبو البنت الذي يريد تزويجه: لا أريد منك شيئا، فوافق على الزواج، وتم القران بحمد الله، ودخل على فتاة جميلة لم ير مثلها قط فبهرته بجمالها وحسنها وأدبها، لكنه رأى فيها شيئا غريبا لفت انتباهه...؟!

فخرج من عند زوجته في ساعته يسأل عن الأب، وعندها سأله الزوج هل سبق أن حججت؟ قال: نعم، قال هل حصل لك شيء هناك؟ قال: نعم، فقدت عقدا ثمينا فوجده رجل أمين، فأعطيته ألف دينار، فرفض أن يأخذ شيئا، فنذرت إن وجدته أن أزوجه ابنتي، فلم أجده، وزوَّجْتك، فقال الرجل الأمين: أنا هو، ففرح أبو البنت، وقال: الحمد لله أن وفَّ الله بنذري بغير حول مني ولا قوة، ورجع الرجل الأمين إلى زوجته وعاشا في سعادة وهناء طيلة حياتهما دون منغصات أو مكدرات.

إنها الطاعة جمعتهما، وتم اللقاء بين هذين الزوجين في الدنيا سعيدين متعاونين على البر والتقوى، فيا لها من سعادة زوجية بدايتها طاعة، ووسطها طاعة، وآخرها طاعة لله سبحانه وتعالى، وصدق رسول الله ﷺ: «**أكثرهن بركة أيسرهن مهرا**»، «**إذا جاءكم من**

ترضون دينه وخلقه فزوجوه، إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد كبير»، «تزوجوا الودود الولود، فإني مكاثر بكم الأمم يوم القيامة».

وإنني أتساءل أين تزاوجنا الآن وما يحصل فيه من...؟؟من هذا الزواج السعيد المبارك، فإذا كنت تريد السعادة أيها الزوج، وإذا كنت تريد السعادة لابنتك أيها الأب أو الولي، فعليك باتباع السنة في الزواج والهدى النبوي في ذلك، فهو خير لك ولابنتك على حد سواء.

* * *

١٨ – لقاء مع الشجرة

كان عابد من العباد في الأمم السابقة، يعبد الله دهرا طويلا فجاء قوم فقالوا: إن ههنا قوما يعبدون شجرة من دون الله تعالى، فغضب لذلك، وأخذ فأسه على عاتقه، وقصد الشجرة ليقطعها، فاستقبله إبليس في صورة شيخ.

فقال:أين تريد..رحمك الله؟

قال: أريد أن أقطع هذه الشجرة.

قال: وما أنت وذاك، تركت عبادتك، واشتغالك بنفسك، وتفرغت لغير ذلك.

قال: إن هذا من عبادتي.

قال: فإني لن أتركك تقطعها.

فقاتله، وما هي إلا لحظات، حتى طرحه العابد على الأرض، وقعد على صدره، فقال إبليس: أطلقني حتى أكلمك. فقام عنه، فقال إبليس: يا هذا.. إن الله تعالى قد أسقط عنك هذا، ولم يفرضه عليك، وأنت لا تعبدها، وما عليك من غيرك؟ ولله أنبياء في أقاليم الأرض، ولو شاء لبعثهم الى أهلها و أمرهم بقطعها.

فقال العابد: لابد لي من قطعها. ونابذه القتال، وتصارعا، فغلبه العابد ثانية وصرعه وقعد على صدره، فلما رأى إبليس عجزه وضعفه، سلك طريق الاحتيال، وعلم أن هذا الرجل ما دام مخلصا لله فلن

تكون قوة في الأرض تغلبه، أو تثنيه عن عمله... وبالفعل... فقد لجأ إلى أن يغير العابد نيته، وأن يريد شيئا غير الله وثوابه...

فقال له: هل لك في أمر فصل بيني وبينك، وهو خير لك وأنفع؟

قال العابد: وما هو؟

قال إبليس: أطلقني حتى أقول لك، فأطلقه.

فقال إبليس: أنت رجل فقير لا شيء لك... إنما أنت كَلٌّ على الناس يعولونك، ولعلك تحب أن تتفضل على إخوانك وتواسى جيرانك، وتشبع وتستغني عن الناس؟

قال: نعم.

قال: فارجع عن هذا الأمر. ولك عليّ أن أجعل لك في كل ليلة دينارين تجدهما عند رأسك، إذا أصبحت أخذهما، فأنفقت على نفسك وعيالك، وتصدقت على إخوانك، فيكون ذلك أنفع لك وللمسلمين من قطع هذه الشجرة التي يغرس مكانها، ولا يضير عُبَّادَها قطعُها شيئا، ولا ينفع إخوانك المؤمنين قطعُك إياها.

فتفكر العابد قليلا فيما قال... ثم قال: صدق الشيخ.

وتعاهدا، وحلف إبليس على الوفاء، ورجع العابد إلى صومعته، فبات فلما أصبح رأى دينارين عند رأسه، فأخذهما، وكذلك في الغد مثل ذلك.

ثم أصبح في اليوم الثالث وما بعده، ولم يجد شيئا، فغضب، وأخذ فأسه على عاتقه ومضى إلى الشجرة يريد قطعها، فاستقبله إبليس في صورة شيخ، فقال له: إلى أين؟

قال: أقطع تلك الشجرة.

فقال كذبت؟ والله ما أنت بقادر على ذلك، ولا سبيل لك إليها. فتناوله العابد ليفعل به كما فعل أول مرة، وما هي إلا لحظات حتى أخذه إبليس وصرعه، فإذا هو كالعصفور بين رجليه، وقعد إبليس على صدره.

وقال: لتنتهين عن هذا الأمر أو لأذبحنك. فنظر العابد، فإذا لا طاقة له به.

فقال: يا هذا. غلبتني فخل عنى.. وأخبرني كيف غلبتك أولا وغلبتني الآن؟

فقال: لأنك غضبت أول مرة لله، وكانت نيتك الآخرة، فغلبتني بقوة الله. وهذه المرة غضبت لنفسك وللدينار... فصرعتك [1].

* * *

(1) إحياء علوم الدين : (٣٧٧/٥).

١٩ – لقاء مع الخشبة

تقدم رجل يريد من آخر قرضا- أي سلف مبلغ من المال- وقدره ثلاثة آلاف درهم، فقال المقرض: ائت بشاهد، فقال: الشاهد هو الله، قال: رضيت بالله شاهدًا، لكن ائت بكفيل، قال: الكفيل هو الله، قال الرجل: رضيت بالله كفيلا، لكن متى تردها عليَّ، قال: بعد سنة موعدك في مكان كذا، في يوم كذا، سوف أعود بها إليك بمشيئة الله، والله على ما أقول شهيد، وبعد مضى المدة، ذهب الرجل إلى المكان المحدد، في اليوم المحدد، على ساحل البحر، فلم يأت، وذهب في اليوم الثاني فلم يأت، وذهب في اليوم الثالث فلم يأت، فقال إنا لله وإنا إليه راجعون، وإذا بخشبة تعوم في البحر وتتجه إلى الساحل، فقال الرجل: لعلى آخذ هذه الخشبة أوقد بها، وعاد إلى بيته بعد أن يئس من دراهمه، وعند وصوله البيت كسر الخشبة، فإذا به يجد فيها شيئا غريبا لم يتوقعه!! إنها دراهمه مع ورقة مكتوب فيها: أخي لقد ذهبت إلى البحر أريد مركبا يوصلني إليك ثلاث مرات، فلم أجد فأخذت هذه الخشبة، ووضعت فيها دراهمك، وقلت اللهم إنك أنت الشاهد والكفيل، فأسألك أن توصلها إلى صاحبها.

فأوصلها الله سبحانه وتعالى، فسبحان من حفظ كل شيء، وجعله عنده بمقدار.

أخي المسلم، توكل على الله في جميع أمورك، ولا تغفل عنه ساعة فهو البر الرحيم القادر القاهر يسمع ويرى ﴿**مَا يَكُونُ مِنْ**

نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا﴾.

* * *

٢٠- لقاء مع السمك

دخل رجل صالح السوق، فاشترى سمكا ووضعه في زنبيل، فأتاه غلام صغير فقال: يا عمي هل تريد أن أحمله وأوصله البيت. فقال الرجل: إنك لا تستطيع. فقال الغلام: إنني أقدر على حمله طالبا العون والمساعدة من الله. فقال الرجل: دونك هذا احمله. فحمله الغلام على رأسه، وسارا في الطريق، وفي أثناء سيرهما سأله الرجل: ما حملك على هذا العمل وأنت صغير؟

فقال الغلام: الحاجة يا عمي، وفي أثناء سيرهما أذن المؤذن مناديا لصلاة الظهر، فما كان من الغلام إلا أن اتجه إلى المسجد، ووضع السمك عند باب المسجد، فاستغرب الرجل من صنيعه، وسأله ماذا تريد هنا؟

فقال الغلام: ألم تسمع منادي الرحمن ينادى للصلاة؟

فقال الرجل: وكيف نصنع بالسمك؟ إنه سوف يؤخذ.

فقال الغلام: هون عليك، فلن يؤخذ بإذن الله تعالى.

وأضاف قائلا: هيا بنا نؤدي الفريضة وبعد ذلك نواصل المسير.

فما كان من الرجل إلا أن أجاب الغلام، ودخلا المسجد، وأديا صلاة الظهر في جماعة. وبعد انتهاء الصلاة خرجا، وإذا بالسمك مكانه لم يأخذه أحد، فقد حفظه الله تعالى بحفظ الغلام لله — احفظ الله يحفظك .

فحمل الغلام الزنبيل وسارا في الطريق متجهين إلى بيت الرجل. واستأنف الرجل الصالح حديثه معه مستغربا إجاباته، فهو صغير لكنه يتكلم بعقل كبير — فسبحان من خلق الإنسان وعلمه البيان — قائلا له: لعلك تتغدى معنا اليوم.

فقال الغلام: إني صائم.

فقال الرجل: إذًا تفطر عندنا.

فقال الغلام: إذا كان ولابد، فتأتون به إلى المسجد، فأنا موجود فيه وقت الإفطار.

فانظر أخي القارئ فائدة التربية الإيمانية من الصغر كيف تصنع؟ جعلت من الغلام رجلا في كلامه وفي قوته، وفي بحثه عن العمل والكسب، فما أكل أحد خيراً من عمل يده، وإن نبي الله داود كان يأكل من عمل يده.

هذه الصورة النادرة لهذا الغلام أضعها أمام شبابنا الذين خيم عليهم الكسل وكثرة النوم، وضياع الوقت في اللعب واللهو، وفرطوا كثيرا في الفرائض والواجبات.

أقول لهؤلاء الشباب: إن كنتم تريدون القوة فعليكم بطاعة الله، وإن كنتم تريدون النجاح فعليكم بطاعة الله، ففيها والله الفلاح والنجاح، والسعادة والراحة النفسية، وفيها خيرا الدنيا والآخرة.

* * *

٢١- لقاء اليم

صرخت بصوت عال مرتفع وهى تقول: لن أعود أطلقوا

سراحي، آه، لو عرف زوجي لقتلني.. لو عرف أبي لذبحني، أتوب.... لن أعود لن أعود، وأردفت قائلة: أنتم تهدمون حياتي... وتهدمون سعادتي، فأجأبها الصوت: نحن نهدم حياتك، أم أنت هدمت حياتك.. اختفي الصوت في بحر من الدموع... وأنين يسمع بين فترة وأخرى بين تلك الضلوع.

سألها بهدوء بعد نحيب وأنين وحزن وأسى: كيف تفعلين هذا وأنت صاحبة الفطرة السليمة؟ وكيف ترضين ذلك وأنت من عائلة طيبة؟ ألم تعرفي حد الزنا في كتاب الله؟ألم تعرفي تحريم الزنا؟

قالت وهي تلمح أملا يطل عليها في سماء سوداء، وأرض قد ضاقت عليها بما رحبت، ورجل الحسبة [1] أمامها : سأروى لك كل شيء من بداية انزلاقي، ولكن أرجوك ألا تخبر أبي ولا زوجي، هز رأسه، وبدأت حديثها .

من قبل كنت امرأة سعيدة مستقرة في حياتي، لا هم لي في هذه الدنيا إلا زوجي وطفلي، هانئة مع زوجي، فهو من أفضل الرجال أدبا وخلقًا، وحولي ابني في الثانية من عمره، يزرع الفرح في قلبي، كنت امرأة لا تعرف من الرجال إلا زوجها ومحارمها، لا أعرف النظر إلى الرجال الأجانب ولا الحديث معهم، وإذا ذهبت إلى السوق أكون محتشمة لابسة اللباس الشرعي الساتر لجميع البدن، لم يكن همي في الأسواق سوى الشراء والعودة إلى زوجي وطفلي، بدأت أحرص على

(1) ما يعرف اليوم برجل الأمن، أو رجل هيئة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر.

الذهاب إلى الأسواق بكثرة، يوم أتعذر بشراء فساتين لي «أي ثياب وملابس» وآخر لإرجاعها، وثالث لشراء ملابس لطفلي، ورابع حذاء لقدمي ..وهكذا.. بدأت رحلة الأسواق، وشجعني على ذلك النقاب، بدأت أنظر إلى الرجال بوضوح، وأرى أعينهم، وأحس بنظرات الإعجاب، وبدأت أسمع كلمات الثناء وعبارات الإطراء تطرق أذني، وهم يرون العين الكحيلة الواسعة، وعندها بدأ الحديث مع العيون، في كل مرة أتردد وأتخوف ربما، ويصحو في قلبي خوف من الله، وصراخ ابنى يملأ المكان لا تفعلي يا أمي، ولكن شيئا فشيئا، بدأت الرهبة تزول، والخوف يختفي، ويوما تهيأت لسماع كلمات الإعجاب، وعيني تلحظ الابتسامة، ألقى إلى بكلمة، رقصت لها عيني، وأُشربها قلبي، وعندما رأى ذلك الفرح والقبول منى ناولني رقم هاتفه، بدأ اللقاء الأليم هناك وانتهينا هنا، والزمن فترة مأساة، والوقت صمت طويل، وليل طويل، وحزن طويل.

* * *

٢٢- لقاء وشتات

دعنا نسمع من صاحبة الشأن نفسها:

شاء الله أن أتزوج بعد إتمام دراستي الثانوية من شاب يدرس في أمريكا واستقرت بي الرحال في منزلنا الجميل في أمريكا، وقضينا شهر العسل كما يقولون، مرت الأيام حلوة وجميلة شاهدت معظم المناطق في أمريكا بصحبة زوجي، ولكن أيام الصفا لم تدم طويلا فقد بدأت حركة المد والجزر في حياتنا، كنا نهمل كل شيء حتى أداء الصلاة، الشيء الوحيد الذي كنا نحرص عليه أن يكون لدينا ثقافة عن كل شيء، ونظرا للخلاف كان يقضى معظم وقته خارج المنزل خاصة في الليل، لم نرزق خلال تلك السنوات بمولود، عدنا لزيارة الوطن، لاحظ أهلي الأرق والإرهاق باديًا على وجهي، قررت أن أصارح والدتي بكل شيء، وبدورها نقلت الصورة كاملة إلى والدي، سألني أبي أسئلة كثيرة ومنها ما مدى استقامته؟

بعد مهلة طلبت الطلاق، لكن بالرغم من أنني دفعت له مبالغ كانت معي، بل إن مرتبي كاملا ثلاث سنوات كان بيده، على أي حال دفعت له ما أراد، و حصل لي ما أردت، عدت لحياتي القديمة، وكأن الذي مر بي حلم، أو كابوس مزعج.

مع بداية العام الدراسي الجامعي لممت أوراقي وشهاداتي القديمة، تقدمت إلى الجامعة، وأبديت رغبة في الانضمام إلى قسم اللغة الانجليزية، وذلك لإجادتي لها من خلال سنوات الغربة، ولكن شاء

الله أن أقابل إحدى زميلاتي في المرحلة الثانوية، بعد السلام الحار والسؤال الطويل أخبرتها عن رغبتي في الدراسة، وخاصة اللغة الانجليزية، زميلتي لم يبق على تخرجها سوى عام، وتدرس في قسم الدراسات الإسلامية، من خلال وقفات بسيطة استطاعت أن تقنعني بالانضمام إلى قسم الدراسات الإسلامية، فهناك كما ذكرت لى المعلومات المفيدة والنشاط اللامنهجي من محاضرات وندوات، وسوف تعرفين جميع طالبات القسم بحكم معرفتي لهن.. اتكلت على الله وسجلت، وأصبحت عضوة نشيطة في هذا القسم، أصبحت أشارك في إعداد الندوات والمحاضرات. كما أن المجموعة التي كنت فيها يطغى عليها جانب المرح، وهذا ما فقدته منذ ثلاث سنوات، رجعت لي صحتي، لا وقت فراغ عندي، امتد نشاطي إلى بيتنا، بدأت أختي تحفظ القرآن الكريم، شيء جديد زارتنا أم زوجي وطلبت الصفح والعودة، رفضت الطلب بشدة؛ لأني لم أحس بالسعادة إلا الآن عندما عدت إلى طاعة الله. تقدم لخطبتي الكثير، رفضت إلا أن أحفظ القرآن الكريم، تخرجت، عينت في مدرسة قرب بيتنا، زارتني زميلتي، وقالت لا عذر لكِ، الآن حفظت القرآن، وأخي ينتظرك، فوافقت وتم كل شيء حسب السنة، لا إسراف لا تبذير ولا حفلات ولا رقص، كان على خلق ودين، وفعلا فرقتنا المعصية وجمعتنا الطاعة.

* * *

٢٣- اللقاء الدائم

قال ﷺ: «**المتحابون في الله على منابر من نور يوم القيامة**» فلقاؤهم في الدنيا لله وفي الله، لكن الدنيا فانية وما عليها فان، يعقب هذا اللقاء المؤقت لقاء دائم في محبة لا يشوبها نزاع ولا خلاف، دائمة ما دامت السموات والأرض، لأنها كانت محبة ولقاء لله الدائم الحي القيوم.

قال: بعض السلف إني لأعصى الله، فأرى أثر ذلك في خلق دابتي، وابنتي فالمعصية سبب للتفرق والشقاق والخلاف، كما أن الطاعة سبب للقاء الأحبة في أمن وأمان وراحة وطمأنينة.

وقفة مع بيوتنا الآن، ما هي العلاقة بين الأب وأسرته؟ بين الأبناء وآبائهم وبين الأبناء مع بعضهم؟ العلاقة مع الأقارب والجيران؟ أين الصلة؟ أين التفاهم؟ بل أين التعاون الذي أمر الله به؟ ﴿**وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ**﴾.

قد يقول قائل: الناقد بصير، لكن ما العلاج؟؟

العلاج موجود في صيدلية محمد بن عبد الله ﷺ وبلا ثمن، لكنا للأسف أعرضنا عنه، وقتلتنا الأمراض، والعلاج بجوارنا لم نستعمله:

كالعيس في البيداء يقتلها الظمأ
والماء فوق ظهورها محمول

اقرؤوا سيرته ﷺ مع أهله، مع جيرانه، بل مع الناس، وليس هذا

مكانًا لذكرها فهي طويلة، وكثيرة جدا، ارجعوا إلى القرآن الكريم وتفسيره، ففيه الهدى والنور وفيه الشفاء من جميع الأدواء.

هذا، والله أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه.

أخي القارئ: لا يسلم عمل من الخطأ والتقصير إلا الأنبياء عليهم أفضل الصلاة وأزكى التسليم.

فما كان من خطأ فمن نفسي والشيطان، وأستغفر الله، وما كان فيه من صواب فمن الله والحمد لله على ذلك.

الأحد ليلة الاثنين ١٤١٧/٢/١٤هـ الموافق ١٩٩٦/٦/٣٠م.

الفهرست

ملحوظة

لقد تم عرض هذا الكتاب على عدد من العلماء الأفاضل قبل طباعته الطبعة الثانية، فأجازوه مع إضافة بعض النقاط الهامة التي أخذت بعين الاعتبار في هذه الطبعة، فهي إذًا منقحة ومزيدة بما هو مفيد ونافع إن شاء الله تعالى.

فجزى الله خيرًا من شارك في تصحيحه وطبعه ونشره وتوزيعه.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.